

هل الله عنصري؟

خاصة في اختياره للإسرائيليين دون غيرهم

إعداد : مراد سلامة

Published: 11/10/2007



www.coptic-apologetics.com

الله أولا اختار إبراهيم الخليل الذي كان يقيم بين شعب كثير في بلاد ما بين النهرين، و التي تعرف الآن بالعراق حيث الدجلة و الفرات، و قد رأي في إبراهيم النقوى و الصلاح بصورة متميزة عن جميع معاصريه، فأراد أن يعزله عن سائر الشعب، و يبعده عن معاشره الأشرار من تلك الشعوب التي عبدت الاوثان و الأصنام و تردت في مسالك الشر و الفساد و الإباحية و الخطيئة. فقد جاء في الكتاب المقدس ، في سفر التكوين:

(تكوين ١٢ : ١-٩) " ^١ وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ^٢ فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأَبَارِكَ وَأَعْظَمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. ^٣ وَأَبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلَا عِنِكَ الْعَنَةُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ». ^٤ فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَامُ ابْنَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ. ^٥ فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَائِي امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مَقْتَنِيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنِيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ. وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. ^٦ وَاجْتَاَزَ أَبْرَامُ فِي الْأَرْضِ إِلَى مَكَانٍ شَكِيمَ إِلَى بَلُوطَةَ مَوْرَةَ. وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينئِذٍ فِي الْأَرْضِ. ^٧ وَظَهَرَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضُ». فَبَنَى هُنَاكَ مَدْبَحًا لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. ^٨ ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيلٍ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتٌ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَدْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. ^٩ ثُمَّ ارْتَحَلَ أَبْرَامُ ارْتِحَالًا مُتَوَالِيًا نَحْوَ الْجَنُوبِ.

إذن ليست في الشعب الإسرائيلي مميزات خاصة عن غيره من الشعوب جعلته يأخذ لقب (الشعب المختار) من الله. إنما هو غضب الله على خطايا البشر عموما و إنحرافهم - على الغالب - عن عبادة الله الواحد إلى عبادة آلهة متعددة. وما صحب هذه العبادات من فساد أخلاقي، و إذ كانت هذه الآلهة كما يصورها، المتعبدون لها، بأنها ترضى عن الزنى و الفسق ، و تطلبه بل أنها تمارسه فيما بينها، حتى أن بيوت هذه الآلهة و هياكلها كانت تقيم فيها نساء يوقفن أنفسهم على الزنى إرضاء لتلك الآلهة. هذا إلى أن بعض تلك الآلهة كان يتطلب إسترضائها قتل الأطفال من الذكور أو الإناث، و إحراقهم قربانا لها، إستجابا لرضائها، أو إتقاء لغضبها. لذلك إقتضت مشيئة الله إهلاك البشرية كلها كما فعل مرة بإغراقها بالطوفان في أيام نوح :

(تكوين ٦ : ٥-٨) " ^٥ وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الْإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الْأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شَرِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. ^٦ فَحَزَنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. ^٧ فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ الْإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الْإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمِهِ وَدَبَابَاتِهِ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لِأَنِّي حَزَنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». ^٨ وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي الرَّبِّ."

(تكوين ٧: ١٧-٢٤) ^{١٧} وَكَانَ الطُّوفَانُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا عَلَى الْأَرْضِ. وَتَكَاثَرَتِ الْمِيَاهُ وَرَفَعَتِ الْفُلُوكَ، فَارْتَفَعَتْ عَنِ الْأَرْضِ. ^{١٨} وَتَعَاطَمَتِ الْمِيَاهُ وَتَكَاثَرَتْ جِدًّا عَلَى الْأَرْضِ، فَكَانَ الْفُلُوكُ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ. ^{١٩} وَتَعَاطَمَتِ الْمِيَاهُ كَثِيرًا جِدًّا عَلَى الْأَرْضِ، فَتَغَطَّتْ جَمِيعَ الْجِبَالِ الشَّامِخَةِ الَّتِي تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ. ^{٢٠} خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعًا فِي الارتفاعِ تَعَاطَمَتِ الْمِيَاهُ، فَتَغَطَّتْ الْجِبَالُ. ^{٢١} فَمَاتَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ كَانَ يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَالْوَحُوشِ، وَكُلُّ الزَّحَّاقَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَرْحَفُ عَلَى الْأَرْضِ، وَجَمِيعُ النَّاسِ. ^{٢٢} كُلُّ مَا فِي أَنْفِهِ نَسَمَةٌ رُوحَ حَيَاةٍ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْيَابِسَةِ مَاتَ. ^{٢٣} فَمَحَا اللَّهُ كُلَّ قَائِمٍ كَانَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ: النَّاسَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالذَّبَّابَاتِ، وَطُّيُورَ السَّمَاءِ. فَانْمَحَتْ مِنَ الْأَرْضِ. وَتَبَقِيَ نُوحٌ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ فَقَطْ. ^{٢٤} وَتَعَاطَمَتِ الْمِيَاهُ عَلَى الْأَرْضِ مِئَةً وَخَمْسِينَ يَوْمًا.

بيد أن الله رضى عن نوح، و شاء أن يجعله رأسا للأسرة البشرية الجديدة بعد إهلاك الأشرار بالطوفان ، و وعده بالبقاء كما نقرأ في :

(تكوين ٩: ١-١١) ^١ وَبَارَكَ اللَّهُ نُوحًا وَبَنِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَاْمَلُوا الْأَرْضَ. ^٢ وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْأَرْضِ وَكُلِّ طِيُورِ السَّمَاءِ، مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الْأَرْضِ، وَكُلِّ أَسْمَاكِ الْبَحْرِ. قَدْ دَفَعْتُ إِلَيَّ أَيْدِيكُمْ. ^٣ كُلُّ دَابَّةٍ حَيَّةٍ تَكُونُ لَكُمْ طَعَامًا. كَالْعُشْبِ الْأَخْضَرِ دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ الْجَمِيعَ. ^٤ غَيْرَ أَنْ لَحْمًا بِحَيَاتِهِ، دَمِهِ، لَا تَأْكُلُوهُ. ^٥ وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ أُطْلِبُهُ. وَمِنْ يَدِ الْإِنْسَانِ أُطْلِبُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ، مِنْ يَدِ الْإِنْسَانِ أَخِيهِ. ^٦ سَافِكُ دَمِ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ يُسْفِكُ دَمَهُ. لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الْإِنْسَانُ. ^٧ فَأَثْمِرُوا أَنْتُمْ وَاكْثُرُوا وَتَوَالِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَكَاثَرُوا فِيهَا». ^٨ وَكَلَّمَ اللَّهُ نُوحًا وَبَنِيهِ مَعَهُ قَائِلًا: ^٩ «وَهَا أَنَا مُقِيمٌ مِيثَاقِي مَعَكُمْ وَمَعَ نَسَلِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ، ^{١٠} وَمَعَ كُلِّ ذَوَاتِ الْأَنْفُسِ الْحَيَّةِ الَّتِي مَعَكُمْ: الطُّيُورِ وَالْبَهَائِمِ وَكُلِّ وَحُوشِ الْأَرْضِ الَّتِي مَعَكُمْ، مِنْ جَمِيعِ الْخَارِجِينَ مِنَ الْفُلِ حَتَّى كُلِّ حَيَوَانِ الْأَرْضِ. ^{١١} أَقِيمُ مِيثَاقِي مَعَكُمْ فَلَا يَنْقُرُضُ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَيْضًا بِمِيَاهِ الطُّوفَانِ. وَلَا يَكُونُ أَيْضًا طُوفَانٌ لِيُخْرِبَ الْأَرْضَ».

و عاد البشر يخطأون ، و لم يرتدعوا بالطوفان، وتمرّدوا على الله ، و بدلا م أن يتوبوا عن خطاياهم تمادوا فيها، و توقيا من إهلاك الله لهم قالوا: هلم نبين لأنفسنا مدينة و برجا رأسا بالسماء و نصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض فلبل الرب هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض، فبددهم الرب من هناك، فكفوا عن بناء المدينة و لذلك سميت بابل لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض كلها، و من هناك شنتهم الرب عن وجه كل الأرض. (تكوين ١١: ١-٩)

و من هنا فإن الرب الإله رأي أيضا شرور الناس في الارض التي كان يُقيم فيها إبراهيم وهي بلاد ما بين النهرين. و ما كان الله قد وعد نوحا و بنيه أنه سوف لا يهلك الناس مرة أخرى بالطوفان، شاء و قد رضى عن إبراهيم أو أبرام، أن يأخذه

و يعزله عن أهله و عشيرته و يخرجه من تلك الأرض التي فسدت بشر الناس الذين يقيمون فيها، ويجعله رأساً لأمة كبيرة كما فعل بنوح من قبل ، الذي أقامه رأساً للأسرة البشرية الجديدة بعد أن أهلك بالطوفان جميع الناس كما نقرأ في :

(تكوين ١٢ : ١-٣) " وَقَالَ الرَّبُّ لِأَبْرَامَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. أَفَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأَبَارِكُكَ وَأَعْظَمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَهٌ. ٣ وَأَبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلَا عِنَاكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ.» "

و انجب إبراهيم إسحق ، و إسحق أنجب يعقوب و يعقوب أنجب إثني عشر ولداً، صار كل منهم رأساً لقبيلة أو سبط، فعرفوا و نسلهم بأنهم شعب بني إسرائيل أي بني يعقوب بن اسحق بن ابراهيم.

هذه هي نشأة الشعب الإسرائيلي، الذي توالد من إبراهيم الذي عزله الله من أهله و عشيرته الأولى في أرض ما بين النهرين، لبيجعل منه أمة كبيرة، و رأساً لشعب كبير. هو شعب بني إسرائيل. ولما كان من بين بني إسرائيل أو بني يعقوب أحدهم المسمى يهوذا، صار هذا الشعب أيضاً يحمل اسم (اليهود) وذلك نسبة إلى يهوذا الذي برز اسمه و عظمت أهميته أكثر من جميع أولاد يعقوب أو بني إسرائيل، خصوصاً و قد جاءت منه مريم العذراء التي تجسد السيد المسيح منها، فصار المسيح بحسب الجسد من بيت يهوذا (رومية ١ : ٣)

و على ذلك فعبرة (الشعب المختار) قد صارت لبني إسرائيل أو للشعب اليهودي، بفضل إبراهيم ، الأب الأكبر الذي تتاسل منه بنو إسرائيل، و الذي أحبه الله لتقواه، و طاعته له و صلاحه و فضائله، فاليهود كسبوا بسبب أبيهم إبراهيم شرف إنتمائهم إليه.

جاء في العهد الجديد ، في الرسالة إلى رومية (رومية ١١ : ٢٨) " ^{٢٨} مِنْ جِهَةِ الْإِنْجِيلِ هُمْ أَعْدَاءُ مِنْ أَجْلِكُمْ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْاِخْتِيَارِ فَهُمْ أَحْيَاءُ مِنْ أَجْلِ الْآبَاءِ، " و الآباء الذين أكرم الله بني إسرائيل أو اليهود من أجل إنتمائهم إليهم هم إبراهيم و إسحق و يعقوب ، وداود.

و على الرغم من هذه الكرامة و هذا الشرف الذي صار للشعب اليهودي بسبب الآباء إبراهيم و إسحق و يعقوب و داود، فإن الله كثيراً ما أعلن غضبه على هذا الشعب و توعدهم بالفناء بسبب شرورهم و تمردهم على الله. ولعل آخر حلقة في الغضب الإلهي هي اللعنة التي صبها السيد المسيح له المجد على شعب اليهود و بني إسرائيل لتمردهم و كثرة شرورهم :

(لوقا ١٣: ٣٤-٣٥) "يا أورشليم، يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، ولم تريدوا! ^{٣٥} هوذا بينكم يترك لكم خراباً!"

على أن الله توكيداً لهذه المعاني لم يُحَاب هذا الشعب اليهودي على الرغم من الإمتيازات الإلهية و الرعاية الخاصة التي حصلوا عليها من أجل إبراهيم و الآباء إسحق و يعقوب و داود.

قال النبي موسى متوعداً شعب بني إسرائيل :

(تنثية ٧: ٦-١١) " ^٦ لأنك أنت شعب مقدس للرب الهك. إياك قد اختار الرب الهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ^٧ ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب. ^٨ بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم، أخرجكم الرب بيد شديدة وقداكم من بيت العبودية من يد فرعون ملك مصر. ^٩ فاعلم أن الرب الهك هو الله، الإله الأمين، الحافظ العهد والإحسان للذين يحيونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل، ^{١٠} والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم. لا يمهّل من يبغضه. بوجهه يجازيه. ^{١١} فاحفظ الوصايا والقوانين والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها."

ويقول النبي موسى أيضاً :

(تنثية ٩: ١-٦) " ^١ «اسمع يا إسرائيل، أنت اليوم عابر الأرض لكي تدخل وتمتلك شعوباً أكبر وأعظم منك، ومدناً عظيمة ومحصنة إلى السماء. ^٢ قوموا عظاماً وطوالاً، بني عناق الذين عرفتهم وسمعت: من يوف في وجه بني عناق؟ ^٣ فاعلم اليوم أن الرب الهك هو العابر أمامك ناراً آكلة. هو يببدهم ويذلهم أمامك، فطردهم ونهلكهم سريعاً كما كلمك الرب. ^٤ لا تقل في قلبك حين يفهم الرب الهك من أمامك قائلاً: لأجل برِّي أدخلني الرب لأمتك هذه الأرض. ولأجل إثم هؤلاء الشعوب يطردهم الرب من أمامك. ^٥ ليس لأجل برِّك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم، بل لأجل إثم أولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من أمامك، ولكي يفى بالكلام الذي أقسم الرب عليه لأبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب. ^٦ فاعلم أنه ليس لأجل برِّك يعطيك الرب الهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها، لأنك شعب صلب الرقبة"

وقد كرر الرب هذا الوعيد لبني إسرائيل كثيراً موضحاً أنه لا يحابهم و إنما بعدله يُجزئهم إذا إنحرفوا و تمردوا على الله. من ذلك قوله في عهد سليمان بن داود بعد أن بنى هيكل الرب :

(املوك ٩: ٦-٩) " ^٦ إن كنتم تتقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي، ولا تحفظون وصاياي، فرائضي التي جعلتها أمامكم، بل تذهبون وتعبدون إلهة أخرى وتسجدون

لَهَا،^٧ فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها، والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسرائيل مثلاً وهزاة في جميع الشعوب،^٨ وهذا البيت يكون عبرة. كل من يمر عليه يتعجب ويصفر، ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟ فيقولون: من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر، وتمسكوا بالهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر».

على أن اليهود قد فقدوا بالفعل هذا الإمتياز الذي نالوه بفضل الآباء القديسين ولا سيما الأب العظيم إبراهيم الخليل، الذي أطاع دعوة الله بإعتزاله عن أرضه فيما بين النهرين و عن عشيرته و بيت أبيه، و جعل الرب منه أمه كبيرة - حملت لقب (شعب الله المختار) و أن كان هذا الإختيار هو من أجل إبراهيم و إسحق و يعقوب و داود ، و ليس من اجلهم هم، فإنه لتمردهم و كثرة خطاياهم - حل عليهم الغضب الإلهي، و حلت عليهم اللعنة إلى الأبد.

وقال المسيح الرب يخاطب الأمة اليهودية :

(متى ٢١ : ١٩) " « لا يَكُنْ مِنْكَ ثَمْرٌ بَعْدُ إِلَى الْأَبَدِ! » ».

وفي يوم أحد الشعانين نظر إلى اورشليم و بكى على مصيرها المحتوم بقضاء الله و عدله و قال :

(لوقا ١٩ : ٤١ - ٤٤) " «^١ وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا^٢

قَائِلًا: «إِنَّكَ لَوْ عَلِمْتَ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكَ هَذَا، مَا هُوَ لِسَلَامِكَ! وَلَكِنْ الْآنَ قَدْ أَخْفَيْ عَنِّي عَيْنَيْكَ. ^٣ فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكَ أَعْدَاؤُكَ بِمِثْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكَ وَيُحَاصِرُونَكَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ،^٤ وَيَهْدِمُونَكَ وَبَنِيكَ فِيكَ، وَلَا يَبْرُكُونَ فِيكَ حَجْرًا عَلَى حَجْرٍ، لِأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ اقْتِنَادِكَ».

مبيناً ما سيحل على اورشليم و الامة اليهودية من هلاك و دمار و خراب هو عقاب العدل الإلهي على عناد هذه الامة و شرها و تمردها، فإن الله لا يُحَاطُ بِالْوَجْهِ، و لئن صبر طويلاً من أجل إبراهيم الخليل أبيهم الأكبر لكنه لا بد أن يُعَاقِبَهُمْ عَلَى شُرُورِهِمْ و على رفضهم الفرصة التي سنحت أمامهم بمجيء المسيح لخلصهم و قد حل بهم كل ما أنذرهم به السيد المسيح له المجد، فبعد صعوده إلى السماء بأربعين سنة قام اليهود بثورة ضد الحكومة الرومانية فأرسل الإمبراطور الروماني حملة تأديبية بقيادة تيطس القائد الروماني لتأديب هذه الامة، فأحاط اورشليم بالمتاريس، فإنقطعت عنها المؤونة من البلاد المجاورة، فهلك من الشعب اليهودي كثيرون بسبب الحرب و بسبب الجوع ، ودمر تيطس و جنوده الهيكل كما سبق و أنذرهم بذلك المسيح له المجد :

(متى ٢٤ : ٢) " «^٢ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَا يُبْرَكُ هَهُنَا حَجْرٌ عَلَى حَجْرٍ لَا يُنْقَضُ!».

كان هذا هو الجزء الاول لتوضيح سبب إختيار الله للشعب اليهودي ، وما هي الإمتيازات ، وما هي الأسس التي اختار عليها الله هذا الشعب.

نتقل الآن إلى الجزء الثاني ، الذي سنناقش فيه قضية الإختيار ، هل هي توافق عدل الله؟؟ أم هو وضع ظالم؟؟ هناك ثلاثة مفاهيم لعقيدة الإختيار:

أولاً، الإختيار الشامل:

بمعنى انه مادام الله خلق الجميع على صورته و مثاله، فلا بد أن يختار كل البشر ، وجميع الشعوب بقدر متساو، و الإختيار بهذا المفهوم الشامل ينسجم تماما مع العدل الإلهي، ولكن الإختيار بهذا المفهوم أيضا لا يتمشى مع الواقع .. لماذا ؟ لأن الله خلق الإنسان حراً مريداً، و بالنظر إلى تاريخ البشرية، نشاهد بوضوح كثرة الذين يرفضون ملك الله على حياتهم، و إصرارهم على تحدياتهم و أخطائهم. ومع كل هذا فإن الله يحترم تماما حرية الإنسان، فلم و لن يختار شخصاً ولا شعباً رغم إرادته.. نعم الله خلق جميع البشر على صورته و مثاله، ولكن ليس الجميع يطلبونه و يرغبونه و يترجون وجهه، فالبشر يتمايزون عن بعضهم البعض ، وهكذا الشعوب أيضاً، و الله يحترم إرادة هذا و ذاك، ولذلك فإن عقيدة الإختيار الشامل لا بد أنها ستتعارض مع حرية الإنسان في تقرير مصيره.

ثانياً، الإختيار الجزئي:

بمعنى أن الله يختار هذا الجزء ويهمل كل البقية.. يختار البعض و يرفض الآخرين، وهذا الإختيار هو ضد العدل الإلهي الكامل، ولذلك لم يقر الله عقيدة الإختيار بهذا المفهوم.

ثالثاً، الإختيار المتدرج من الجزء للكل:

بمعنى أن يختار الله عجيبة صغيرة صالحة، وبها يخمر العجين كله، يختار الجزء مؤقتاً ليكون له الكل فيما بعد.

وهذا ما حدث عندما اختار الله إبراهيم، فقد رأى الله في إبراهيم الإستعداد الطيب للحب و الطاعة و الإيمان، حتى أنه عندما طلب منه أن يخرج من بلده و يترك قومه و عشيرته و الذين يعبدون الأصنام أطاع إبراهيم على الفور بلا نقاش و لا مجادلة و لا دممة :

(تكوين ١٢ : ١-٤) " ^١ وَقَالَ الرَّبُّ لِأِبْرَاهِمَ: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ^٢ فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأَبَارَكَكَ وَأَعْظَمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. ^٣ وَأَبَارَكَ مُبَارَكِيكَ، وَلَا عَيْنَكَ أَلْعَنُ. وَتَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قِبَائِلِ الْأَرْضِ». ^٤ فَذَهَبَ أَبْرَاهِمُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ وَذَهَبَ مَعَهُ لُوطٌ. وَكَانَ أَبْرَاهِمُ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً لَمَّا خَرَجَ مِنْ حَارَانَ."

ويقول معلمنا بولس الرسول عن هذا:

(عبرانيين ١١ : ٨-٩) ^٨ " بِالْإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي. ^٩ بِالْإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهَذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ.. "

وسار إبراهيم مع الله بأمانة و حب و إخلاص ، للدرجة التي قدم فيها ابنه وحيده إسحق ذبيحة لله، واثقا أن الله قادر أن يقيمه من الموت بعد ذبحه :

(عبرانيين ١١ : ١٧-١٩) ^{١٧} " بِالْإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ. قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ ^{١٨} الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». ^{١٩} إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الْإِقَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ أَيْضًا، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضًا فِي مِثَالٍ. "

وقال الرب له :

(تكوين ٢٢ : ١٦-١٨) ^{١٦} " وَقَالَ: «بِذَاتِي أَقْسَمْتُ يَقُولُ الرَّبُّ، أَنِّي مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا الْأَمْرَ، وَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، ^{١٧} أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأَكْثُرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلَكَ بَابَ أَعْدَائِهِ، ^{١٨} وَيَبَارِكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَّمِ الْأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي.» "

وفعلا جاء السيد المسيح من نسل إبراهيم، الذي به تباركت كل أمم الأرض، ويقول معلمنا بولس الرسول :

(غلاطية ٣ : ١٦) ^{١٦} " وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لَا يَقُولُ: «وَفِي الْأَنْسَالِ» كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: «وَفِي نَسْلِكَ» الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ. "

وهكذا اختار الله إبراهيم، و اختار إسحق دون إسماعيل، و اختار يعقوب دون عيسو، و اختار شعب إسرائيل دون بقية شعوب العالم، و يقول الأب منيف حمصي:

"الله يدخل تاريخ الإنسان عبو بوابة شعب إسرائيل وذلك ليستودعه تدبير قصد الخلاص. لهذا السبب بالضبط نسمع في الكتاب أن هذا الشعب هو خادم الله (إشعيا ٤٤ : ٢١) ، و مختار الله (إشعيا ٤٥ : ٤) ، و ابنه البكر (خروج ٤ : ٢٢) ، و ميراثه (إشعيا ١٩ : ٢٥) ، و عروسه (هوشع ٢ : ١٤-٢٠). و إسرائيل على هذا الأساس .. مركز للتاريخ المقدس .. محور تاريخ الخلاص .. هذا الشعب الأضعف بين الشعوب، قد تحول بفعل إختيار الله له إلى مركز لكل التاريخ المقدس ، و إلى نواه تتطلق منها بركات الله و نعمته إلى سائر الشعوب."

ولم يكن إختيار الله لشعب بني إسرائيل هو الهدف النهائي لله، إنما وسيلة لجذب العالم كله :

(غلاطية ٣: ١٤) "٤ لِيُصِيرَ بَرَكَهٗ إِبْرَاهِيمَ لِأُمَّمٍ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالْإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ."

فيقول الأب منيف حمصي:

"الشعب الإسرائيلي ليس له غاية الاختيار، و لا ينحصر فيه معنى الاختيار. لم يكن اختيار الله له كهدف بحد ذاته، بل كأداة و كخميرة، أولاً: ليتقدس هذا الشعب، ومن ثم ليتحول إلى أداة تتقدس بها سائر الشعوب الأخرى. الشعب المختار هو أداة تتقدس بها سائر الشعوب الأخرى، الشعب المختار هو أداة لتقديس الاختيار الإلهي الجزئي، و لا يكتمل بمجرد اختيار إسرائيل، إنما كماله هو في قداسة الامم من خلال إسرائيل.

وكما سبق و أوضحنا أن الشعب الإسرائيلي فقد هذا الإمتياز، و أن الله لم يغض بصره عن أفعالهم الرديئة و شرورهم و دنسهم ، بل قال عنهم السيد المسيح :

(متى ٢١: ٤٣) "٣ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ."

تلخيص :

الله لم يكن ظالما في إختياره للشعب الإسرائيلي ، لأن هذا الإختيار كان اشبه بالخميرة ، الله يختمر بها العجين كله، فإن الله إختار الشعب الإسرائيلي ليقدم من خلاله شعوب العالم بأكمله، و تم هذا الإختيار بالتدرج ، من إبراهيم إلى إسحق إلى يعقوب ، و من يعقوب ظهر الشعب الإسرائيلي. ولكن عندما أخطأ الشعب الإسرائيلي ، الله نزع عنهم هذا الإمتياز، و عاقبهم كما أوضحنا في متن المقال.

نرجو منك زيارة موقعنا لقراءة المزيد من الأبحاث المشابهة

www.coptic-apologetics.com

المراجع :

١- العالم المتنيح الانبا غريغوريوس ،مقالات في الكتاب المقدس (الجزء الرابع) ص ٨٩ - ٩٨

٢- مدارس النقد و التشكيك و الرد عليها (لجزء الثاني) ص ٢٣٨-٢٤١

٣- الأب منيف حمصي، هل يُلغى العهد القديم ؟ ص ١٣٥ ، ١٥٠ ، ١٥٧،١٥٨